

الفصل الأول

حياته وعصره

(١) مولده ونشأته

ما زالت حياة هوميروس أسطورة كلما حاول العلماء فهمها تاهوا في تفاصيلها، وكلما أرادوا دراستها تشعبت أبحاثهم وتعددت آراؤهم ولم يتفقوا على شيء . ومع أنهم كتبوا عن هوميروس من المؤلفات ما لم يكتبوه عن شاعر آخر إلا أن أبحاثهم عن حياته ونشأته ما زالت مليئة بالفروض والاحتمالات .

فأين ولد هوميروس ؟ ومتى ؟ ومن أي سلالة انحدر ؟ هل هو سليل الآلهة ؟ ابن بوسيدون ، رب البحار ؟ أو أبوللون ، إله الشعر والغناء ؟ وهل كانت أمه ربة من ربات الشعر أم حورية من حوريات الماء أم امرأة كسائر الأمهات ؟؟ وأين قضى أيامه وكيف ؟ وهل فضل منطقة من بلاد اليونان وأقام بها أم طاف في أرجائها وقصد كثيراً من مدنها ثم عاد إلى مدينة سمورنا ونظم الإلياذة والأوديسا وبعض الأشعار الخفيفة ؟

وبأي أرض مات ؟ هل مات بجزيرة إيوس أم في مكان غيرها ؟

هذه أسئلة لا نعرف لها جواباً صحيحاً لأن هوميروس في ملاحمه لزم الضمت ولم يذكر شيئاً عن نفسه ولم يحدثنا عن نشأته كما فعل غيره من

شعراء زمانه ، فأخذ العلماء ينسجون حوله الروايات ويحيكون القصص ، وكثرت هذه وتلك واختلفت اختلافاً شديداً فيما تضمنته من سير وأنباء ولكن تضارب هذه السير لم يمنع النقاد من دراستها وتحليلها واستخلاص ما يستسيغه العقل منها .

وتحدثنا أشهر هذه الروايات^(١) بأن كريثيس (Kerehis) أنجبت طفلاً بمدينة سمورنا (Smarna) وسمته مليسيجنيس (Melesigenes) نسبة لنهر مليس^(٢) الذى وضعت بالقرب من ضفته ، وبعد أعوام تزوجت معلماً للصبية توسم في الغلام من الفطنة والذكاء ما جعله يهتم بتربيته وتثقيفه ، وسرعان ما فاق الصبي جميع أقرانه ونافس أستاذه ، ولما مات الأستاذ تولى الاشراف على المدرسة وأثبت كفاءة في إدارتها ، فأعجب به أهل بلده وطارت شهرته في المدن المجاورة ، فتسابق الناس إلى مجلسه ، يستمعون إلى أحاديثه يأخذون عنه الحكمة ، وكان من بين الذين أعجبوا به ربان سفينة ذكى مثقف اسمه منتيس (Mentos) كان يتردد على سمورنا ويحمل إليها الحبوب ، فأخذ يغري هو ميروس بالإكثار من التنقل والرحيل ليزداد خبرة وعلماً ، وما زال به حتى أقنعه بترك المدرسة واعتزال التدريس والسفر معه .

(١) مع أن هذه الرواية وجدت في مخطوط واحد مع تاريخ هيرودوت ، فقد ثبت أنها ليست من تأليفه ولكنها مؤلف عاش في القرن الثاني الميلادي ، انظر :

Jebb (R.C.), *Homer : An Introduction to the Iliad & the Odyssey*, Glasgow, 1888, Ch., III, p. 87. cf., Allen (T. W.), *Homer : Origins & Transmission*, Oxford, 1924, Ch. I, p.p. 11—41.

(٢) وفي قول آخر سمي كذلك نسبة إلى نهر الميسيا Melesia لأن أمه وضعتة خلال أيام هذا العيد

وكان صاحبنا قوى الملاحظة ، شغوفاً بالبحث ، محباً للاطلاع لا يقع بصره على شيء إلا فحصه ولا يسمع خبراً إلا درسه ؛ وطالت رحلته ، فزار أثناءها بلاداً عديدة ، وعرف كثيراً من السير والأخبار وحفظ قدراً كبيراً من المعلومات وانتهى به الطواف إلى إيثاكا (Ithake) حيث أصابه رمد في عينيه ، فاضطر رفيقه منتيس أن يعهد به إلى صديق له بهذه الجزيرة يدعى منتور ، وكان رجلاً فاضلاً أكرم صاحبنا الذي لم يمنعه مرضه من حفظ ما سمع في إيثاكا من قصص وروايات خاصة ما كان يحكى عن أوديسيوس (Odusseus) ومغامراته^(١) . وبقي صاحبنا ضيفاً على منتور حتى عاد صديقه إلى إيثاكا وحمله معه واستأنفا الأسفار وزارا كولوفون (Kolophon) حيث اشتد عليه الرمد وأفقده نظره وظل كفيفاً إلى أن مات .

ولما كف بصره عاد إلى سمورنا وأقام بها فترة قضاها في نظم الشعر ، وذاق فيها مرارة الفقر ثم رحل إلى عدة بلاد منها نيوتوخوس (Neiotuchos) ، وهناك وقف أمام متجر للجلود وأنشد أبياتاً شكاً فيها بؤس الغريب المعوز ، فرق التاجر لحاله وأكرمه ، ولما سمعه أهل المدينة ينغنى بحرب طيبة ويرتل الترانيم الدينية أعجبوا بغنائه وشجعوه فأقام بينهم واتخذ الإنشاد صناعة له وبعد أن قضى صاحبنا بضعة أعوام في تلك المدينة غادرها إلى كوما ، وهناك توجه إلى المسكان الذي يجتمع فيه مجلس الشيوخ وأنشد أبياتاً من أشعاره خلبت ألباب سامعيه ، فسألهم أن يستضيفوه بينهم وينفقوا عليه لينظم الشعر تمجيداً لمدينتهم وتخليداً لذكراها ، واستجاب القوم لطلبه إلا شيخاً واحداً قام معترضاً وقال إن الإنفاق على عميان الشعراء ،

(١) يقول صاحب هذه السيرة إن هوميروس اتخذ من هذه القصص نواة لـ"أوديسا" التي خلد فيها منتور وجعله رمزاً للحكمة .

سيكلف مدينتهم ما لا طاقة لهم به ، فحول زملاؤه عن عزمهم ومنذ ذلك اليوم لقب صاحبنا « هوميروس »^(١) ، ولما تنكر له أهل كوما ولم يقدرُوا مواهبه تركهم وتوجه إلى مدينة فوكيا (Phokaia) وكان يقيم فيها معلم يدعى ثستوريديس (Thestorides) دعاه لينزل عنده ضيفاً كريماً على أن يلقنه أشعاره ، فوافق الشاعر لحاجته وفقره . وعندئذ انكب هذا المعلم على جمع الأشعار الهومرية ، ولما انتهى من نسخها هاجر إلى جزيرة خيوس وأقام فيها ينشد ملاحم ضيفة وينسبها لنفسه . وعلم صاحبنا بذلك فصمم على اللحاق به ولما وصل إلى الجزيرة نزل على أثريائها يعلم أولادهم وأقام بينهم ينظم قصائده الرائعة وكان المعلم كلما سمع بوجوده في مكان فر إلى مكان آخر .

وطارت شهرة هوميروس في الجزيرة وعلمت منزلته وعظم شأنه وفتح مدرسة يعلم فيها الشعر وفنونه وقواعد النظم وأصوله ، وجادت قريحته بأروع الأشعار التي ضمنها كل الصفات الحميدة وتغنى فيها بكرم من أحسنوا إليه وخلد ذكراهم ، خاصة منتور الذي أكرم وفادته وسهر على رعايته ، ولما ذاع صيته أخذ يطوف بأرجاء اليونان وانتهى به المطاف في جزيرة إيوس حيث قضى آخر أيامه ودفنه أهل الجزيرة بالقرب من الشاطئ . .

هذه خلاصة لأحدى تراجم هوميروس التي تعد من أهم المصادر عن نشأته وحياته ، رجع إليها كل من كتبوا عنه فأخذوا منها ما أرادوا وأضافوا إليه قصصاً من ابتكارهم .

(١) أي « الأعمى » بلغة كوما ؛ ويقال في رواية أخرى إنه لقب كذلك بعد أن وقع أسيراً في إحدى الحروب التي نشبت بين سمورنا وساموس ، وكلمة هوميروس تعني « رهينة » . أسيراً » ، انظر الفقرة ٣١٤ من نص « المباراة بين هوميروس وهيسودوس » الذي نشره Evelyn - White في طبعة لويب (Loeb, C. L.) .

وأول الناقلين عنها مؤلف غير^(١) معروف كتب ترجمة أخرى عنوانها « مباراة بين هوميروس وهيسودوس » ، يحدثنا فيها عن تاريخ ميلاد الشعارين وعن المسابقة الأدبية التي اشتركوا فيها ويصف لنا الأسفار التي قام بها هوميروس ثم يروي لنا قصة موت الشعارين .

ومع أن صاحب هذه الرواية انساق وراء خياله وروى لنا من الأخبار ما لا نستطيع تصديقه إلا أن روايته مازالت تعتبر مرجعاً مهماً يتضمن كثيراً من المعلومات التي تتصل بموضوع دراستنا ، فيقول كاتبها :

« إن كل يوناني يفتخر بأنه من بلد هوميروس وهيسودوس ، وهما أكثر الشعراء إلهاماً . لقد تحدث الثاني عن وطنه فذكر أن أباه كان يقيم في ضاحية أسكرا ، لكن الأول لزم الصمت ولم يقل شيئاً ، لذا تدعى كل مدينة بأنه منها ، خاصة مدينة سمورنا التي يؤكد^(٢) أهلها أنه كان ابناً لحورية الماء كريثيس ، انجبتته من النهر مليس الذي يروي أرضهم وسمته مليسيجنيس ، ولما فقد بصره لقبه أهل سمورنا بهوميروس لأن هذه صفة للعميان في لغتهم . ويدعى أهل خيوس أيضاً بأنه منهم وبأن سلالة مازالت تعيش بين ظهرانيهم وتعرف بالهوميرداي (Homeridae)^(٣) . أما أهل كولوفون

(١) يحتمل أنه عاش في النصف الأول من القرن الثاني الميلادي وأنه كتب هذه السيرة في أيام الأمبراطور هادريان (١١٧ — ١٣٨) ، ويظهر أنه أخذ معلوماته عن الترجمة السابقة وعن ترجمة أخرى كان قد كتبها السفسطائي ألكدماس (Alkidamas) حوالي عام ٤٠٠ ق. م . ولم تصلنا منها إلا سطور متناثرة . انظر : Evelyn - White ، ص ٤٣ .

(٢) قارن سترابون ، جزء ١٢ ، فصل ٥٥٤ : « إن لدى أهل سمورنا أدلة قوية جداً تبرهن على أن هوميروس كان منهم » .

(٣) أي أبناء هوميروس أو تلاميذه انظر :

Allen (F.W.), Homer : Origins & Transmission, Oxford, 1924.
حيث يناقش في الفصل الثاني (ص ٤٢ — ٥٠) معاني هذه الكلمة ويرجح أنها اسم لجماعة فلدوا هوميروس .

فيؤكدون انه من بلدهم وأنه بدأ نظم الشعر عندهم وأنشد أولى قصائده في مكان يعتزون بوجوده في ديارهم .

كذلك اسم أبويه مازال موضع خلاف . فهو ابن مايون (Macon) أو مليس (Meles) أو ابن السكاكن المصرى منماخوس (Menemachos) وأمه كاليوبا (Kalliope) إحدى ربات الشعر أو كريسيس ^(١) ، وكانت من اثنا كائهم وقعت أسيرة في يد الفينيقيين الذين باعوها في سوق للعبيد .

ويستطرد المؤلف قائلا : ولقد أرسل الامبراطور هادريان يسأل وحي دلفي عن موطن هوميروس وعن اسم أبويه فأجابه : أنسألني عن أصل الشاعر المقدس وعن بلده ؟ إنه كان من اثناكا ، أبوه تليماخوس بن أودوسيوس وكان أحكم البشر أجمعين . ويرى المؤلف أن هذه إجابة صادقة يؤيدها ما احتوت عليه الاوديسا من تمجيد لجد الشاعر وأبيه .

واختلاف الناس أيضاً في تحديد العصر الذي عاش فيه ، فمنهم من يقول بأنه أكبر من هيسiodوس ، ومنهم من يقول أنه من أسرته وأصغر منه ، ومنهم من يؤكد أنهما عاشا في نفس الوقت وتنافسوا على إمارة الشعر في مدينة خالكس (Khalkis) وبعد أن نظم هوميروس أولى قصائده ، أخذ يتنقل من بلد إلى آخر ، ينشد الشعر حتى وصل مدينة دلفي وهناك سأل الوحي عن أصله ووطنه فأجابه قائلا : . كانت أمك من جزيرة إيوس وسوف تموت بها ، ولكن حذار من الصبية ومن لغزهم . وبعد سماع هذه النبوءة يقال إنه تردد في الذهاب إلى إيوس وفضل البقاء حيث كان . وحدث أن أقام

(١) هذا بعض ما احتوى عليه النص من أسماء عديدة لم نر حاجة لذكرها خوفاً من

ابن امفيدماس حفلاً لتشجيع ابيه دعا إليه أشهر الرياضيين وأعظم الأدباء
وخصص للمتفوقين منهم جوائز نفيسة ، وتصادف ان اشترك الشاعران
في هذا الحفل وتباريا في إنشاد أروع الأشعار وكانت الغلبة لهيسيودوس
لأنه كان يمجّد السلم بينما كان هوميروس يتغنّى بالحروب والمعارك . وقد فاز
شاعر أسكرا بكأس نحاسي كبير وهبته لربات الشعر ونقش عليه هذين
البيتين :

« عندما تفوقت على هوميروس الشاعر الملهم وهبت هذا الكأس
لربات الشعر اللاتي تقمن على سفح الهليكون ،

وبعد أن منى هوميروس بالفشل ، ترك خالكس وأخذ يطوف ببلاد
اليونان ينظم الشعر ويتغنّى به فأنشد ملحمة عن « حرب طيبة » تتألف من
سبعة آلاف بيت ومطلعها : « أنشدى ياربة الشعر تمجيداً لأرجوس
الفيحاء » ، وملحمة الإيجونوي (Epigonoï) الذين دمروا مدينة طيبة
وتكون من سبعة آلاف بيت ومطلعها : « فلنمجّد أبطال العصور الخوالي » ،
ثم نظم الإلياذة في خمسة عشر ألف بيت والأوديسا في اثني عشر ألف .
وزار دلفي وذهب إلى أثينا حيث رحب به ملكها ميدون (Medon) ، ثم
توجه إلى كورينثا وأنشد مقطوعات من شعره وقوبل بحفاوة بالغة ثم
غادرها إلى أرجوس ومجد أهلها بأبيات من الإلياذة فأعجبوا به إعجاباً
شديداً وأثنوا عليه وقدموا له الهدايا النفيسة وقرروا أن يضحوا من أجله
كل يوم وكل شهر وكل عام وأن يرسلوا أضحية إلى خيوس كل خمس سنوات
وأقاموا له تمثالا نقشوا عليه هذه الأبيات :

« هذا تمثال هوميروس الملهم أقامه أهل أرجوس لأنه مجد ، بشعره الرائع وصوته الرخيم ، كل اليونان وأهل أرجوس بالذات لأنهم دمروا أسوار طرواده انتقاماً لهلينا ذات الخصل الجميلة . »

وبعد أن قضى هوميروس بعض الوقت في تلك المدينة توجه إلى ديلوس ونظم نشيد أبوللون ، ثم أبحر في شيخوخته إلى جزيرة ايوس وأقام بها ، وبينما كان يجلس يوماً بالقرب من الشاطئ مر به صبية عاتدين من صيدهم فسألهم : هل وجدتم سمكا ، فردوا قائلين ، لقد تركنا كل ما أمسكنا وعدنا بما لم نملك . فلم يفهم هوميروس كلامهم وسألهم أن يشرحوا معناه فقالوا ، اننا لم نجد سمكا فقضينا وقتنا في قتل القمل وتركنا هناك ما قتلنا وعدنا في ملابسنا بما لم نقتل ، وعندئذ تذكر هوميروس النبوءة وأدرك أن نهايته قد اقتربت فنظم بيتين لينقشا على قبره . وبينما كان يفكر في الرحيل من إيوس بعد ثلاثة أيام زلت قدمه في أرض مبللة وسقط على ظهره ومات ودفن في إيوس . وهذا ما نظمه لينقش على قبره :

« هنا يرقد هوميروس الذي تغنى بالأبطال ومجدهم . »

من الواضح جداً أن صاحب هذه الرواية كان يعرف السيرة التي تنسب خطأ لهيرودوت وأنه نقل عنها ما أراد وأضاف إليها كثيراً من المعلومات التي انبرى النقاد لتفنيدها .

وكان پروكلوس (Proclus) ^(١) أول من حاول دراسة كل ما كتبه

(١) ناقد عاش في القرن الثاني أو الخامس الميلادي واشتهر بكتابه الذي ضمنه مجموعة =

القدماء عن هوميروس ومناقشته مناقشة علمية في كتابه الذي ضمنه بحثاً مستفيضاً عن نشأة شعر الملاحم وتطوره قبل هوميروس وبعده وكتب فيه فصلاً عن حياة الشاعر وترجم منه هذه الفقرات :

« ابن من يكون هوميروس ؟ وفي أى بلد ولد ؟ هذه أمور من الصعب معرفتها لأن الشاعر لم يتحدث عن نفسه ولأن الذين تحدثوا عنه لم يتفقوا فيما بينهم واختلفت رواياتهم ، فقال فريق أنه ولد في كولوفون وأكد البعض أنه من جزيرة خيوس وذهب فريق آخر إلى القول بأن أمه ولدته في جزيرة أيوس أو في مدينة ^(١) كوما . وجمال القول لا توجد مدينة إلا وادعت أنه منها لذا من الممكن أن نعتبره مواطناً عالمياً ،

« والذين يعتبرونه من سمورنا يقولون إنه ابن مايون وإن أمه وضعتَه على ضفة نهر مليس وسمته مليسيجنيس ، وعندما وقع أسيراً في يد جماعة من جزيرة خيوس سمي هوميروس ، ويدعى فريق من الناس أنه لقب كذلك عندما أصيب برمد أفقده بصره لأن هذا معنى هوميروس في لغة الأبوليين . »

« وهذه قصة موته كما تناقلتها الأجيال . عندما توجه هوميروس إلى

= من « روائع الأدب المفيدة » Chresfomatheia ويسميه المحدثون « الموجز » وقد وصلتنا منه بعض المقطوعات .

(١) قارن رواية الشاعر انثياتروس الصيدى (١٠٠ ق م) : « إنك من كولوفون أو من سمورنا أو من خيوس أو من نيساليا أو من جزيرة أيوس ، هكذا يقولون ؛ لكن أبوللون أنبأني بأنك ولدت فوق ذرى الأولومبيوس وأنت ابن سيد الآلهة وأماك ربة من ربات الشعر » . ولقد أضاف سويداس (Suidas) إلى القائمة السابقة أسماء أماكن أخرى أهمها طروادة وصر وروما وروندس . قارن :

Cicero : Pro Archia, 8.; Aulus Gellius, III, 2.

معبد دلفى ليسأل عن مصيره أجابه الوحي قائلاً : « فى جزيرة ايوس ولدتك أمك وفيها سوف تموت ، حذار من الصبية ومن اللغز الذى سيقولونه لك وحدث أن أبجر هو ميروس إلى تلك الجزيرة وأقام بها زمناً ونظم ملحمة عنوانها « الاستيلاء على أويخاليا ، وبينما كان يجلس ذات يوم على حجرة بجانب الشاطئ . رأى جماعة من الصيادين فنادى عليهم وسألهم : هل وجدتم صيداً ؟ فردوا قائلين « لقد تركنا كل ما أمسكنا وعدنا بما لم نمسك ، فلم يفهم كلامهم وطلب إليهم توضيحه فقالوا « اتنا لم نجد سمكاً فقضينا وقتنا فى قتل القمل وتركنا هناك ما قتلنا وعدنا فى ملابسنا بما لم نقتل ، عندئذ يش هو ميروس واستولت عليه الهوموم وبدأ يفسكر فى نبوءة دلفى . وبينما كان يسير مغموماً زلت قدمه فسقط على حجر شج رأسه ومات بعد ذلك بيومين . ولكن هذا موضوع يحتاج إلى بحث عميق ولقد ذكرته لك من باب العلم بالشئ » (١) .

« أما الذين قالوا بأنه أعشى فهم ، فيما اعتقد ، لا يفقهون شيئاً لأنه رأى من الأشياء ما لم يشاهده إنسان قط . كذلك الذين نادوا بوجود صلة بينه وبين هيسودوس لا يعرفون طبيعة الشعر فأشعارهما مختلفة ولم تربطهما صلة لأنهما لم يعيشا فى عصر واحد . ولقد أخطأ أيضاً الذين نظموا هذين البيتين :

لقد وهب هيسودوس هذا الكأس لربات الشعر القاطنات بسفح
الهليكون بعد أن تفوق فى الإنشاد على هوميروس الملهم —

فعندما قرءوا قصيدة الأعمال والأيام التى نظمها شاعر أسكرا لم يفهموها

(١) يوجه المؤلف الخطاب إلى قرائه كما يخاطب الأستاذ تلاميذ .

لأن الفقرة^(١) التي وردت بها لا تؤدي المعنى الذي قصده .

ويرى أريستارخوس^(٢) وتلاميذه أن هوميروس كان معاصراً للاستعمار أيونياً الذي تم بعد حرب طروادة بما يقرب من قرن ونصف قرن^(٣) بينما يعتقد كراتيس (Crates) وأتباعه أنه عاش أثناء هذه الحرب . ولا شك عندنا في أنه عمر طويل لأن علمه الغزير ومعرفة الواسعة ودقته البالغة تدل على نضوج عقله وكبر سنه . ويتضح لنا من معلوماته الجغرافية أنه زار بلاداً كثيرة وشاهد أقطاراً عديدة وهذا دليل على ثرائه لأن الأسفار الطويلة تكلف نفقات باهظة خاصة عندما كان ركوب البحر مخفوفاً بالأخطار ، قاصراً على فئة قليلة من الناس^(٤) .

ونظم هوميروس الإلياذة والأوديسا ولوان كسنون Xenon وهيلانيكوس ينكران عليه الثانية ، وينسب إليه القدماء بعض القصائد الهزلية مثل « المارجتيس » ، و « حرب الضفادع » (Batrachomachia)

(١) يشير بروكارس إلى الأبيات ٦٥٤ — ٦٥٩ وهو صادق فيما يقول لأن هيسودوس لم يذكر في هذه الفقرة ولا في غيرها أنه فز على هوميروس ولكنه يفخر فقط بأنه نال جائزة في مباراة أدبية ؛ وأغلب الظن أن أصحاب هذا البحث فسروا أبيات هيسودوس في ضوء « نص المباراه » الذي أوردناه من قبل .

(٢) أشهر علماء مدرسة الاسكندرية الذين اهتموا بدراسة الأشعار الموهورية ونقداء ، وكان يناقسه في هذا المضمار الناقد كراتيس زعيم مدرسة پرغام .

(٣) أى في منتصف القرن الحادى عشر تقريباً لأن معظم العلماء قد أجمعوا على أن حرب طروادة وقعت عام ١٢٠٠ ق م . تقريباً .

(٤) نو كوديديس ، تاريخ الحروب اليونانية . جزء ١ : ١ ، فصل ٢ .

و ، حرب الفيران ، (Muomachia) ، ومجموعة الملاحم اليونانية^(١) ،

* * *

يتضح لنا من ذلك كله أن القدماء اختلفوا في هوميروس اختلافاً شديداً
ولكننا ، على أى حال ، نستطيع أن نستخلص شيئاً عن حياته ونشأته
من المعلومات التى اجمعوا عليها لأن إجماعهم يحملنا على تصديقهم . وهذه
أهم الحقائق التى نستنتجها من الروايات المتباينة .

يبدو أن هوميروس ولد من أبوين مغمورين فى إحدى المدن الأيونية

(١) لقد ثبت أن هذه الأشعار من نظم جماعة حاولوا تقليد هوميروس وفشلوا فى
محاولةهم لأنهم لم يجمعوا ما وهب أساتذهم من عبقرية وإبداع . ولا أدل على ثقافة قصائدهم من
أن نقاد اليونان وصفوها بالركاكة والضعف واعتبروها تقليداً سقيفاً لهوميروس ، ولعل انحطاط
مستواها كان من أقوى الأسباب التى أدت إلى إندثارها ، فعلموانا عنها مستمدة من شذرات
وصلتنا من كتاب پروكلوس أو إشارات سريعة ورددت فى المسرحيات اليونانية وأهم هذه
الملاحم :

أ — الأناشيد القبرصية (Kupria) نظمها الشاعر القبرصى ستاسينوس (Stasinos)
عام ٧٧٦ ق م . تقريباً .

ب — ايثيوپس (Aithiopsis) من نظم أركتينوس الميليى (Arctinos) ٧٧٦ ق م .
تقريباً .

ج — الإلياذة الصغيرة (Ilias mikra) ألفها ليسخيس (Lesches) حوالى عام
٧٠٠ ق م .

د — تدمير طروادة (Iliou - persis) كتبها أركتينوس الميليى .

ه — نوستوى (Nostoi) أى عودة الأبطال من نظم أجياس (Agias) عام ٧٥٠
ق م .

و — تليجونيا (Telegonia) نظمها يوجامرن اليرقى (Eugammon) عام ٥٦٦ ق م .
وتتصل بموضوعات الملاحم الخمس الأولى بحرب طروادة فهى إما مقدمة للإلياذة وإما تنمة
لها ، أما حوادث الملحمة السادسة فتتعلق بموضوع الأوديسا .

بأسيا الصغرى^(١) ، ثم أظهر في صباه ميلا لسماع القصائد وحفظ الأناشيد ، وفي سن الشباب بدأ يتغنى بأشعاره فلم ينل إعجاب سامعيه الذين أعرضوا عنه ولم يشجعوه ، فذاق مرارة الفقر وعندما تفتقت قريحته ونبغ في إنشاد الشعر ذاع صيته وتسابق الأثرياء إلى دعوته للاقامة في قصورهم والتغنى بأسلافهم وتنافست المدن في إجلاله وتكريمه لما في أشعاره من تمجيد لأبطالها وأشادة بماضيها . وهكذا اتبحت له فرصة لزيارة كثير من البلدان ودراسة معتقداتها والوقوف على أحوالها ومعرفة عادات أهلها ، فكانت مصدراً للمعلومات التي تفيض بها قصائده . ولعل ضخامة إنتاجه وطول ملاحمه يحملنا على الاعتقاد بأنه عاش زمنا طويلا ومات في شيخوخته بحزيرة إيوس التي اجمعت الروايات على أنها كانت تفتخر بوجود قبره فيها .

(١) وفي رواية أخرى أنه ولد في مدينة طيبة بمصر ولما كبر وترعرع نظم الشعر ثم غادر مصر وقام بأسفاره المتعددة ينشد الأشعار في بلاد اليونان وغيرها من الدول ، انظر الروائي هليودوروس (Heliodoros) ، شذره (٢) من رواية ايثيوبكا ترجمة :

Hadas (M) : Ancilla to Classical Reading, Columbia, 1954.p.139.

(٢) عصره

لقد ذهب القدماء ثلاثة مذاهب في تحديد العصر الذى عاش فيه هوميروس . فقال هيكتايوس^(١) بأنه عاصر الحرب التى وصف حوادثها أى أنه اذهر فى منتصف القرن الثانى عشر قبل الميلاد ، ولكن هيرودوت^(٢) خالفه فى ذلك وأكّد أن شاعر الإلياذة ظهر قبله بما لا يزيد عن أربعة قرون أى فى منتصف القرن التاسع قبل الميلاد ثم جاء ثيوپومپوس^(٣) (Theopompos) وجعله معاصراً للشاعر الهجائى أرخيلوخوس الذى ذاعت شهرته فى منتصف القرن السابع قبل الميلاد .

وإزاء هذا الاختلاف كان من الضرورى أن ينقسم المحدثون على أنفسهم وأن يعتنق كل منهم رأياً من الآراء الثلاثة ويعمل على تأييده فى ضوء الاكتشافات الحديثة .

فقال أصحاب الرأى الأول بأن الأشعار الهومرية تصف الحياة اليونانية فى القرنين الثانى عشر والحادى عشر وإنها تصور مظاهر الحضارة التى سادت بلاد اليونان وقتئذ وتعرف « بحضارة موكنائى » ، « Mycenae » ، واستشهدوا على ذلك بأن الأسلحة والمنازل والملابس والحلى التى وصفها هوميروس فى أشعاره تشبه إلى حد كبير ما عرفه اليونان فى تلك الأزمنة . حقا لقد كشفت حفريات سليمان عن دروع تشبه درع آياس وعن كئوس مثل كأس نستور ولكن هذا التشابه لا يكفى لإثبات هذا الرأى لأن هذه الحفريات نفسها قد

(١) Proclus, Vita Homeri, p. 25. 17; Diodoros, VII. 2.

(٢) Herodotos, II. 53.

(٣) سفسطامى مشهور عاش فى أواخر القرن الرابع قبل الميلاد وكتب كثيراً من المؤلفات أشهرها تاريخ اليونان فيما بين (٤١١ — ٣٩٤ ق . م) .

كشفت عن فروق واضحة بين ما وصفه هوميروس وبين ما عرفه اليونان في منتصف القرن الثاني عشر ؛ فأبطاله كانوا لا يلبسون ثياب العصر الموكيني ولا يعبدون آلهته ، وفوق ذلك فإن الشاعر يصف حرب طرواده ويتكلم عن أعمال الأبطال الذين اشتركوا فيها على أنها أساطير قديمة ترجع إلى أزمنة مضت قبل ظهوره بوقت طويل ، ولقد اثبتت^(١) الأبحاث الأخيرة أن هوميرس يصف حضارة العصر الأيوني التي ازدهرت في القرن التاسع^(٢) ، وأن ماورد في قصائده عن الأزمنة الغابرة ما هو إلا ذكريات للماضي عرفها الشاعر من الآثار التي خلفتها تلك العصور ومن الروايات التي توارثتها الأجيال .

أما عن القول بأن هوميروس عاصر الشاعر الغنائي أرخيلوخوس فهو لا يتفق مع مراحل التطور التي مر بها الأدب اليوناني . فن المقطوع به أن الملاحم ظهرت وازدهرت ثم أخذت في الزوال قبل أن يصبح الشعر الغنائي فنا مستقلا بذاته . ودليل على ذلك أن هوميروس ينكر نفسه ولا يتحدثنا عن عواطفه بينما لا يصف الشعراء الغنائيون إلا مشاعرهم ولا يتكلمون إلا عن تجاربهم الشخصية . ونحن نعلم أن هذا الاتجاه لم يكن وليد ميل خاص عند الشاعر بل كان يتجه لظروف العصر الذي ظهر فيه . فهو هوميروس عاصر

(١) Severyns(A.):Homère, le cadre historique, Bruxelles,1944.
Ch. II.

(٢) إن تحديد العصر الذي تصوره أشعار هوميروس لمن أصعب الأمور ؛ فهو ، في رأى البعض ، عبارة عن الفترة ما بين (١٤٠٠ — ١٢٠٠) ويقع في رأى آخرين ، ما بين (١٢٠٠ — ١١٠٠) . ولكن أحدث الآراء ، وأقربها إلى التصديق ، تتفق على أن هوميروس يصف الحضارة الأيونية التي ازدهرت في القرن التاسع ويصورها في إطار ملوه بأوجات وذكريات من العصر الموكيني (١٤٠٠ — ١١٠٠) والعصر الكريتي (٢٤٠٠ — ١٤٠٠) انظر Severyns, op. cit., p.26.

الملكية المستبدة التي لم تكن تحسب للفرد أى حساب فحرمته من إبداء الرأى وإصدار الأحكام وأخضعته للبوك الذين يصف الشاعر سلطتهم بأنها مقدسة وأنها جزء من سلطة زيوس كبير الآلهة لأنهم أبناؤه وأحفاده ينحدرون من سلالته ويستمدون منه القوة والعظمة ، عاش هوميروس وسط هؤلاء الملوك وقضى حياته فى التنقل بين قصورهم والتغنى بهم وبأسلافهم . ثم ظهر هيسودوس وكان يختلف عنه اختلافا شديداً فى نظريته السياسية فهو أول من دافع عن الطبقة الكادحة وهاجم كبار الملاك ولفت نظرهم إلى ضرورة نشر العدالة وأكد لهم ، أن الحكام الذين يعدلون مع رعاياهم تزدهر مدنهم وتنتعش الحياة فيها ، يرعاها الإله ويسودها الرخاء والسلام . . وهكذا وضع القواعد الأساسية التى يجب أن يقوم عليها مجتمع قوى ولخصها فى أمرين : العدالة المطلقة والأخلاص فى العمل . ثم ظهر الشعراء الغنائيون فى عصر قويت فيه شخصية الفرد وازدهرت فيه الحياة الاجتماعية والفكرية فكان عليهم أن يغفلوا الماضى البعيد ليصفوا عواطف الناس ويصوروا الحوادث الواقعية التى تحيط بهم فأخذوا ينظمون المقطوعات التى تنشد فى الاحتفالات والأعياد والمسابقات الرياضية ويرتلون الأناشيد التى تمجد الوطنيه والأغاني التى تصف المشاعر الانسانية . وهذه القصائد كلها تختلف ، كما نعرف ، فى موضوعها ولغتها وتركيبها وروحها ومعانيها عن الملاحم الهومرية التى لا يمكن ، بأى حال من الأحوال ، أن تنسب إلى منتصف القرن السابع .

بقى علينا أن نرى إلى أى حد كان هيرودوت مصيبا عندما نادى بظهور هوميروس فى منتصف القرن التاسع تقريبا . لم يكن أبو التاريخ وحده صاحب هذا الرأى بل وافقه عليه ثوكوديديس الذى اشتهر بدقته وأمانته

العلمية . يضاف إلى ذلك أن الأشعار الغنائية تحتوى على اشارات لأساطير مفصلة عند هوميروس وتمتلىء بعبارات وسطور تشير إلى أن ناظميها كانوا يعرفون القصائد الهومرية تمام المعرفة بل كانوا يلمون بتفاصيل موضوعاتها وصفات أشخاصها . فسافو وألكايوس وألكمان يصفون أبطال هوميروس كما وصفهم ويتحدثون عنهم كما تحدث ، بل ويستخدمون عباراته ويرددون كلماته ^(١) ، وهذا دليل على أن أشعاره كانت قد أصبحت مصدرا معروفا يرجعون إليه وينقلون عنه وهذا لا يتسنى إلا لقصائد قديمة نظمت قبل ظهورهم بوقت طويل .

ولقد أيدت الابحاث الحديثة رأى هيرودوت ، فلغة هوميروس ^(٢) هي لغة القرن التاسع والثامن ق.م وليست لغة العصر الموكيني التي كانت ضاربة في القدم تحتوى على كلمات عتيقة ومصطلحات نادرة وعبارات غير مألوفة ، ولا هي لغة الشعر الغنائى التي كانت تفيض حيوية وتمتلىء بحركة لتوافق الألحان الموسيقية وتعبر عن مختلف العواطف الجياشة والانفعالات القوية .

عاش هوميروس إذن في أواخر القرن التاسع قبل الميلاد بعد انتهاء حرب طروادة وقبل إزدهار الشعر الغنائى بقرون ، فاعتمد في وصفه لحوادث هذه المعركة على الروايات التي سمعها والآثار التي شاهدها في ربوع اليونان ،

(١) فلهينا مشثولة . عن حرب طروادة ، وأودوسيوس ذكى بارع ، وپاریس اشقر جميل وأخیلیوس سريم القدمین ، انظر :

Bowra (C. M.) : Tradition and Design in the Iliad. Oxford 1930. p. p. 256 - 59.

حيث يذكر المؤلف عشرات الأمثلة اللغوية والمقطوعات التي نقلها الشعراء الغنائيون عن هوميروس .

(٢) انظر الفصل الثانى : ص : ٣٤ - ٣٧ .

ثم وصف هذه الأحداث في لوحات تصور المجتمع الذى عاش فيه والحضارة التى عاصرها . فسجل لليونان حياتهم فيما بين القرن الثانى عشر وأوائل الثامن قبل الميلاد وعرضها فى قالب قصصى وأسلوب روائى يجمع بين الحقيقة والخيال .

وهو يصور لنا مجتمعا مستقرا متحضرا ازدهر فيه الشعر الذى لا يمكن أن يخرج من العدم أو يسمو فى بيئة بدائية أو ينشد أمام جمهور ساذج غير متمدين ، وأهم شخصيات هذا المجتمع الملك الذى يرث صولجانه ويستمد سلطانه من زيوس ، فهو مصدر السلطة وغضبه شديد ويحيى ويميت ، نراه فى السوق يصرف الأمور مع رؤساء القبائل بين هتاف الشعب . . وهذا وصف يصوره ويحدد علاقته بشعبه :

« عندما أمر (١) أجا ممنون جنده بالاستعداد للرحيل رغبة منه فى أن يعجم عودهم ، أسرع أودومسيوس فى الحال وحاول منعهم لأنه كان يعرف حيلة الملك فذهب ليلقى ابن اترىوس ، ملك الملوك ، وأخذ منه صولجان آبائه الذى لا يتحطم أبداً وقصد إلى سفن الآخيين ؛ وكان كلما قابل ملكا أو قائداً أو رجلا من علية القوم ، قال له : لا يليق بك ، ياسيدى ، أن تخاف كالجبان . ولا أن تقعد بدون قتال ، فانت لاتعرف بعد أفكار أجا ممنون ، إنه يسبر الآخيين ، وسرعان ما يصعقهم ، ياهول غضب الملوك الذين لهم حصافة الآلهة ، إن زيوس يحبه ويحترمه . وعندما رأى من الدهماء رجلا يصبح ، هم أن يضربه بصولجانه ويؤذنه قائلا : إجلس واستمع إلى غيرك انك جبان لاتصلح للنضال ، لاقيمة لك فى الحرب ولا وزن لآرائك !

فلا يمكن أن يكون الجميع ملوكا لأن تعدد الرئاسات يجلب النوبال فليكن أحدا سيدا أو ملكا أعطاه زيوس الصولجان وانزل عليه القوانين ليحكم بها بين الناس . وهكذا طاف يحدث الجند الذين أسرعوا إلى الميدان وعلا صياحهم كموج البحر الصاخب عندما يرتطم بشاطئ صخري .

، وعندئذ جلس الزعماء واتخذوا أماكنهم على المقاعد وبقي ثرسيتيس Thersites وحده يرغى ويزبد ، ذلك الخامل الثرثار الذى يعارض الملوك بغير حق . لقد كان أقبح من جاءوا إلى طروادة ، أحذب مقوس الساقين ، مدبب الرأس ، راح يصيح بكلمات عالية ويهاجم أجاممنون ويسبه ، ولكن سرعان ما وقف أوديسيوس العظيم وأنبه بالفاظ لاذعة : يا من لاتعى ماتقول ، يا من لاتعرف غير الصياح ، عد إلى السكوت وحذار أن تعارض الملوك ؛ انك ، فى رأى ، أخط من جاءوا إلى طرواده . ولما أنهى كلامه ضربه بعصاه على صدره وظهره ، فذرفت عينيه دمعة كبيرة ، وظهرت على كتفيه علامة حمراء كالدم من أثر الضرب ، ثم جلس يرتجف وأخذ ينظر حوله نظرات حائرة يائسة ومسح دموع آلامه بينما كانوا يسخرون منه ويضحكون .^(١) إن هذا المعارض لا يظهر فى كنف ملكية بدائية ، كما أن الشاعر الذى صور هذه الصورة قد سمع خطباء الرعاع فى سوق المدينة ويدل ظهورهم على وجود وعى سياسى لاتعرفه المجتمعات المتأخرة^(٢) .

(١) الإلياذة : ٢ : ٢١١ وما بعده .

(٢) Lang (A), Homer & his age, London, 1906. pp. 1—14.